أو عرض الأكتاف ، أو طول الأنف ، أو كبر المنخرين ، أو كراهة الرائحة ، أو نتوء العينين . وجعلوا ذلك مدار شعرهم فى الهجاء والتندر على المهجو ، فأثاروا العيب الخلقى وأرادوه ظاهراً بارزاً يُثير الزراية ويشيع النكتة ، من غير رحمة أو شفقة ، كما فعلوا حين اخترعوا للمرأة صوراً داعرة ، لعلها هى منها بَرَاء ، بل لعلّ الرجل من عيوبهم براء كذلك . ولسنا نبحث أمر الصدق أو الكذب فقد قيل ما قيل ، ونحن نحصد القول ، ونعرض له على أنه فن من فنون الأدب ليس غير ، لا نعيب المخلوق ولا نتشفى منه ، إنْ صحت العلة ، لأننا لن نجرؤ فى التطاول على معاتبة الخالق .

ونلاحظ أن شعراءنا قد تناولوا فى أوصافهم المرأة والرجل على حدّ سواء ، فصوّروهما تصويراً مقذعاً ، وقد تلفّت الشاعر أبو تمام إلى هذا فخصّ فى حماسته باباً بهجاء النساء ومذمهن ، نريد أن نفتتح به هذه الأوصاف لقرب عهدنا بالحديث عن عرض المرأة ، فنقطف هنا من الثمار ما يسهل عرضه من غير لوم — كما فعلنا قبل قليل —

لقد حمل الشعراء منذ القديم على الحليلة والخليلة حملة قاسية ، وصوروا بشاعتهما تصويراً دفعهم إلى أن يقسموا بالأيمان المغلظة أن لايجتمعوا بهنّ بعد ذلك ، عزوفاً عن المناظر البشعة وبعداً عن الدمامة المؤذية . ويحسن بنا أن نقف عند هؤلاء وقفة قصيرة . فقد قال شاعرهم يهجو إحدى النساء واسمها « جوهر » :

أَلْمِمْ بوَطْبَاء[1] فى أشْدَاقها سَعَةٌ ... فى صورة الكلب إلا أنها بشرُ
حَدْباء وقصاء[2] صِيغَتْ صيغةً عجباً ... وفى تَرَائبِها عَنْ صَدْرِها زَوَرُ

فهى عظيمة الثديين ، واسعة الأشداق تشبه الكلب فى صورتها ، وإنْ كانت من البشر ، حدباء قصيرة العنق ، غريبة الخلق ، عجيبة الصنع فى هزالها ، قد ازورّ صدرها ، فباتت على أبشع صورة . وذلك لأن العرب فيما يبدو كانوا يحبون الثديين الصغيرين والفم الضيق والقامة المستقيمة ، لذلك جمع

---

(١) الوطباء : العظيمة الثديين .

(٢) الوقصاء : القصيرة العنق ؛ والترائب : جمع التريبة ، وهى موضع القلادة .